البنية القصصية في قصة أصحاب الكهف
مقاربة سردية

أ.م.د. نجوى محمد جمعة
جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية
2017

ملخص البحث

تتسم القصة القرآنية بحسن انتقاء الحدث القصصي ،وحسن صياغته ،وقوة تأثيره في المتلقي ،وقد صرح القرآن الكريم بذلك "نحن نقص عليك أحسن القصص " . وبناء على ذلك اهتم الباحثون بدراسة تلك القصص لتسليط الضوء على البناء الجمالي لها . وانطلاقا من تلك الأهمية درس البحث هذه القصة بوصفها نصا ينطوي على مقومات الفن السردي . وقد شملت الدراسة أربعة مكونات سردية هي : الحدث ، الشخصية ،الزمان ، المكان . عالج المكون الأول أنساق بناء الحدث القصصي ، فيما تناول المكون الثاني أنماط بناء الشخصيات القصصية وطرائق تقديمها ، وتعرض المكون الثالث لمستويات بناء الزمن السردي الذي انقسم على ثلاثة مستويات : خصص المستوى الأول للمفارقات الزمنية ، والمستوى الثاني سلط الضوء على تقنيات سرعة الزمن وبطئه ، ثم درس المستوى الثالث التواتر الزمني . أما المكون الرابع فقد درس المكان السردي حسب علاقته بالحدث ثم علاقته بالشخصية .

المقدمة

تنتمي سورة الكهف الى طائفة من السور التي بُنيت بناء قصصيا ، فقد اشتملت على أربعة قصص ، ابتدأت بقصة أصحاب الكهف . موضوع البحث . ثم قصة صاحب الجنتين ثم قصة موسى مع الرجل الصالح ثم قصة ذي القرنين في النهاية. وقد تكونت البنية القصصية في هذه القصة من راوعليم هو الله عز وجل ومروي له متلق لتلك القصص هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم مروي متكون من أربعة مكونات أساسية لاغنى عنها في كل قصة هي : الحدث والشخصية والزمان والمكان . وقد ارتأى البحث دراسة المروي في قصة أصحاب الكهف .وستكون تلك الدراسة الموجزة مدخلا لدراسة مكونات القصص الأخرى في تلك السورة .

أولا : بناء الحدث

الحدث هو "مجموعة وقائع منتظمة أو متناثرة في الزمان ، وتكتسب تلك الوقائع خصوصيتها وتميزها من خلال تواليها في الزمان على نحو معين " (1) وهو عنصر مهم من عناصر البناء القصصي فلا يمكن أن توجد أي قصة بدون حدث ، ولايمكن أن تنتظم أحداث أي قصة أو تنسجم مع بعضها دون أن تبنى أحداثها على وفق أنساق معينة ، فالنسق هو الذي يرتب أحداث القصة بطريقة أو نظام معين يمنح العمل جمالية خاصة به .(2) وأول من درس تلك الأنساق هم الشكلانيون الروس الذين قسموها على أربعة أنساق هي : التأطير ، البناء ذي

المراقي ، التضمين ، التنضيد . (3) ثم تابع النقاد العرب بعد ذلك دراساتهم لتلك الأنساق– اعتمادا على الدراسات الغربية السابقة – فوجدوا أنساقا أخرى يمكن إدراجها بالشكل الآتي :

النسق المتتابع

النسق المتداخل

النسق المتوازي

النسق المكرر (4)

نسق الاعتراض

نسق التناوب (5)*

أما أهم الأنساق التي وجدت في قصة أصحاب الكهف فهو نسق التتابع **ويعني بداية الأحداث من نقطة معينة وتتابعها وصولا الى نقطة معينة .(6)وقد تتابعت أحداث قصة الكهف فاعتمدت على التسلسل المنطقي من بدايتها الى نهايتها ، فقد بدأت الأحداث من لحظة دخول الفتية الى الكهف – " إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهييء لنا من أمرنا رشدا " الكهف / 10– ثم تعاقبت يتلو بعضها بعضا عندما ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف سنين عددا فسدها بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات اليها (7) . ووفق نظام الباري المحكم الدقيق أيقظهم من نومهم الطويل " ثم بعثناهم "الكهف /12 " ليزدادوا إيمانا واعتبارا ، ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره " (8).

في الآيات الثلاث أعلاه إشارة موجزة الى قصة أصحاب الكهف التي ابتدأت أحداثها بدخولهم الى الكهف ، وانتهت بيقظتهم بعد سنين طويلة . وفي هذه البداية المشوقة هيأ الباري عز وجل المتلقي – المتمثل بشخصية الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم –لآجواء الحدث القصصي الذي سيسرد تباعا في الآيات اللاحقة التي بدأت القصة فيها بقول السارد (الله عز وجل) مخاطبا رسوله الكريم " نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى" . الكهف / 13 . ويستمر سرد الحدث بتتابع الآيات " وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . وإذا اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهييء لكم من أمركم مرفقا" . الكهف /14–16

وبعد تلك الإشارة الموجزة – في الآيات الأولى – لأحداث قصة أصحاب الكهف ، تبدأ الآيات اللاحقة بتفصيل أحداث تلك القصة ، فقد ربط الله على قلوبهم بالصبر على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين ، وقواهم على إعلاء كلمة الحق وإظهار الإسلام .(9) وفي موقفهم هذا قرروا إعتزال قومهم واللجوء الى الكهف ليكون مأواهم وملاذهم الآمن ، وفي الكهف بسط الله نعمته عليهم وشملهم برعايته وحفظهم في مضاجعهم عندما اختار لهم أصلح المواضع فجعل الشمس " إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه " .الكهف / 17

وتستمر رعاية الله وحفظه لهم إذ منع دخول الكفار عليهم فجعل عيونهم مفتحة وهم نيام يحسبهم الناظر لذلك أيقاظا ، وقلبهم لئلا تأكل الأرض أجسادهم ثم ألبسهم من هيبته ليفرَ عنهم كل من يراهم .(10)

بعد ذلك يتنامى الحدث الرئيس في القصة ليصل الى العقدة –وهي الأستيقاظ من النوم بعد سنين طويلة " كذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم " الكهف / 19– حتى يتدرج ويقترب من نهايته عندما يبدأ التحاور فيما بينهم عن مدة لبثهم ثم قرارهم بإرسال أحدهم الى المدينة لشراء الطعام ، وهنا تتجلى حكمة الله عندما يكتشف امرهم في المدينة " وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أنَ وعد الله حق" . الكهف / 21 وبعثورهم على هؤلاء الفتية يصل الحدث الى نهايته عندما يبدأ نزاع القوم حولهم فمنهم من قال " إبنوا عليهم بنيانا" الكهف / 21، ومنهم من قال " لنتخذنَ عليهم مسجدا " . الكهف / 21وبخلافهم هذا تختم هذه القصة التي تسلسلت أحداثها تسلسلا منطقيا من بدايتها الى نهايتها .

ثانيا : بناء الشخصية

تعد الشخصية أهم عنصر من عناصر العمل القصصي فهي أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة .(11) وترتبط الشخصية بعناصر السرد الأخرى ارتباطا وثيقا " فلكي يؤدي الحدث في القصة معناه التام لابد أن تتبناه شخصية تقوم بالأحداث وتتفاعل معها "(12)،وترتبط كذلك بالزمان فهو عامل أساس في بنائها ، وله دور فاعل في الكشف عن تطورها الفكري (13) ، فضلا عن ارتباطها الوثيق بالمكان ف " العلاقات التي يحملها تدل على سمات الشخصية ومهنتها وسلوكها وانتمائها الأجتماعي ." (14)

وتكتسب الشخصية أهمية خاصة في النص القرآني فهي " شاهد من شواهد الانسانية .في مختلف حالاتها– من قوة وضعف ، واستقامة وانحراف ، وايمان وكفر ، أو حب وبغض ، أو صفاء وحقد ، او حكمة وسفاهة ، او هداية وضلال ، الى غير ذلك مما تندرج تحته عوالم الانسانية ...". (15) فلم تعد –كما كانت في أي عمل قصصي آخر–كائنات ورقية بل هي كائنات حية تمثل " أفكارأوقيما وسلوكا يهدف القص الى الكشف عنها " .(16) وهنا يكمن الاختلاف بين شخصيات النص القصصي القرآني ، وبين شخصيات نص قصصي خيالي آخر.

وبناء على تلك الأهمية سيدرس البحث شخصيات قصة اصحاب الكهف حسب أنماطها وطرائق تقديمها .

يظهر من بداية قصة أصحاب الكهف وجود نمطين من الشخصيات : تمثل النمط الأول بمجموعتين تجسدت المجموعة الأولى بالفتية أصحاب الكهف فيما شكل أهل المدينة المجموعة الثانية في هذا النمط . والى جانب النمط الأول ظهرت شخصيات أخرى غير بشرية لايقل دورها –في بناء هذا الحدث القصصي –عن دور الشخصيات الأخرى ، وقد مثلت هذه الشخصيات النمط الثاني في هذه القصة .

وبناء على ذلك ستقسم الشخصيات القصصية في هذه القصة على نوعين :

أولا : الشخصيات الاعتبارية

ثانيا : الشخصيات غير البشرية

اولا : الشخصيات الاعتبارية

هي الشخصيات التي لاتتمثل في شخصية بذاتها بل بمجموعة بشرية صغيرة أو كبيرة (17) ، وتسمى بالشخصيات الجماعية لأنها تمثل مجموعة بشرية لكنها شخصية واحدة في التصرفات والسلوك .(18) وقد تمثلت هذه الشخصيات في قصة أصحاب الكهف بمجموعتين :

المجموعة الأولى مثلت الشخصيات الرئيسة في القصة ، وهم أهل الكهف .
المجموعة الثانية مثلت الشخصيات الثانوية في القصة ، وهم أهل المدينة .
أصحاب الكهف هم مجموعة بشرية صغيرة من الفتيان كانوا في زمن ملك جبار دعا أهل مملكته لعبادة الأصنام ، ولم يستجب له هؤلاء الفتية ، فخرجوا ومعهم الراعي وكلبه بحجة الصيد ، فلما أمسوا دخلوا ذلك الكهف .
(19) ومنذ بداية القصة أشار الله عز وجل الى تلك المجموعة بقوله : " أم حسبت أنَ اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهييء لنا من أمرنا رشدا" الكهف /9-10وقال أيضا " ... إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى" . الكهف /13 .
الخطاب السردي في هذه القصة هو خطاب للمجموعة كلها ، ولاوجود لأي إشارة منفردة لأحدهم. ومما يعزز قولنا إنَ كل الألفاظ والجمل الواردة في سرد أحداث القصة تشير الى كل المجموعة ، منها على سبيل المثال لاالحصر (بعثناهم ، لبثوا ، نباهم ،آمنوابربهم ،وزدناهم ، ربطنا على قلوبهم ، قاموا فقالوا ربنا ، لن ندعو ، ،فأووا ينشر لكم ربكم ، يهيء لكم ربكم من أمركم ، تزاورعن كهفهم ، تقرضهم ، وهم ، تحسبهم أيقاظا وهم رقود... الخ)
وتعد مجموعة أهل الكهف شخصيات رئيسة في تلك القصة فهم الأبطال الذين دارت حولهم كل الأحداث ابتداء من هروبهم من الملك الجبار ودخولهم الى الكهف ، وانتهاء بتنازع القوم حولهم .
أما المجموعة الثانية التي مثلت الشخصيات الثانوية فهم أهل المدينة الذين تنازعوا حول أمر الفتية عندما اكتشفوا أمرهم بعد مئات السنين *. وقد أشار الباري عز وجل الى هذه المجموعة فقال :" إذ يتنازعون بينهم أمرهم ...".الكهف /21
إنَ سياق النص القرآني واضح بإشارته الى تلك المجموعة أهل المدينة . التي انقسمت أيضا على مجموعتين :
الأولى : مجموعة من مشركي ذلك الزمان الذين ارتأوا ستر أصحاب الكهف وراء بنيان (جدار) لكي لايطلع عليهم أي أحد.
الثانية : مجموعة من مؤمني ذلك الزمان الذين ارتأوا بناءمعبد وموضع للعبادة والسجود لكي يتعبد الناس فيه (20).
وهاتان المجموعتان مثلتا شخصيات ثانوية في القصة اقتصر وجودها على التنازع حول أمرالفتية في نهاية الأحداث . أي بعد العثورعلى أصحاب الكهف في زمان جديد ، ولم يكن لهم أي دورآخر أسهم في تنامي وتيرة الأحداث وتطورها .

ثانيا :الشخصيات غير البشرية

لايقل حضور هذه الشخصيات أهمية عن الشخصيات الانسانية لما لها من تاثير حاسم في بنية الحدث القصصي في النص القرآني " فالأشخاص في القصص القرآنيلايقصد بهم الأناسي رجالا ونساء . من عباد الله فحسب . وانما يقصد بهم سائر من وقعت منهم أحداث ، وصدرت منهم عبارات وأفكار أدت دورا ايجابيا في القصة ، أو اتصلت بهم أحداث ، سواء كانوا انسا أم جنا أم ملائكة أم طيورا أم حشرات أم حيوانات " .(21)
وقد أشار د. عماد عبد يحيى الى تلك النماذج من الشخصيات عندما قال : " ولايفوتنا أن نشير الى شخصيات

أخرى من غير البشر كشخصيات النملة والهدهد وعفريت الجن في قصة سليمان عليه السلام بل ربما صح أن نعدَ سفينة نوح والطوفان شخصيتين أيضا لما أسند اليهما من أفعال اسهمت في صنع الحدث ونموه". (22)
وفي قصة أصحاب الكهف يمكننا أن نجد نماذج مختلفة من هذه الشخصيات تمثلت بنمطين هما :

اولا : الحيوانات

ثانيا : الأشياء

أولا : الحيوانات

تمثلت بالكلب فهو من الشخصيات القصصية التي شاركت في نمو وتطور أحداث قصة أصحاب الكهف على الرغم من عدم ظهوره إلا في آيتين قصيرتين في السورة إلا أنَ الحدث في هذه القصة لم يكتمل إلا بوجوده . في الآية الأولى قال تعالى : " وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد " الكهف / 18أي ملقي ذراعيه على الأرض مبسوطتين كافتراش السبع بفناء الكهف . (23)*
ووجود الكلب بفناء الكهف أسهم إسهاما مباشرا في تطور الأحداث وتحقيق الهدف الرئيس الذي ابتغاه الله عز وجل عندما أماتهم لسنين طويلة ، فلو بسط ذراعيه بباب الكهف لدخلوه وعثروا على الفتية المؤمنين ، ولكن حكمة الله اقتضت أن يبسط ذراعيه بفناء الكهف فلو رأوه على " باب الغار لدخلوه ، وكذلك لو كان بالقرب من الباب لما انصرفوا آيسين عنهم" . (24) إذن فوجود الكلب بالفناء لعب دورا كبيرا في تصاعد وتيرة الأحداث .
بناء على ذلك وجدنا أنَ الشخصية غير البشرية – المتمثلة بكلب أصحاب الكهف– لم تكن هامشية فحسب ، بل لوجودها أثر كبير في هذا الحدث على الرغم من عدم ظهورها على مسرح أحداث القصة إلا قليلا.

ثانيا : الأشياء

هي النمط الثاني من أنماط الشخصيات غير البشرية ، تمثلت ب: الكهف ، والرقيم ، والشمس ، والورق .
- الكهف له دوركبيرفي هذا الحدث القصصي ، فوروده هنا بوصفه شخصية غير بشرية لايقل شانا عن دور الشخصيات البشرية في هذه القصة ، ومما يؤكد ذلك افتتاح الحدث به في هذه السورة ، ثم تكراره لست مرات في القصة نفسها . وقد حمل هذا التكرار دلالات خاصة وعامة ، فالخاصة تعني " التأكيد على أنَ قصة أصحاب الكهف قصة حقيقية ... وكذلك للتأكيد على مكان الكهف " . (25) وتعني الدلالة العامة " إنَ الغرض الرئيس من التكرارهو الخطابة" . (26)فتكراره هنا بما حمل من دلالات عدة . فضلا عن تسمية السورة القرآنية باسمه يؤكد أهميته في بناء وتصاعد وتيرة الأحداث في هذه القصة .*

-الرقيم هو " اسم مكان ، وقيل نسب الى حجر رقم فيه أسماؤهم " (27) وقيل انه اسم الوادي الذي فيه الكهف ، أو هو الجبل نفسه ، أو القرية التي خرج منها أصحاب الكهف أو هو لوح من حجارة كتب فيه قصة أصحاب الكهف ثم وضع على باب الكهف ، أو قيل هو كتاب .(28) وكل هذه الاقوال تؤكد دوره في بناء الحدث فهو سبب خلودهم " ودليل على وجودهم في هذا المكان". (29)
- الشمس لايقلدورها عن دور الشخصيات الأخرى . المتمثلة بهذ النمط . فظهورها في هذا النصالقرآني حمل دلالة الحفاظ على أجساد الفتية وعدم تآكلها طيلة السنين التي ناموا فيها . فميلها وقت طلوعها عن الكهف الى

جهة اليمين ثم عدولها أو تجاوزها عنهم الى جهة الشمال ، وبقائهم في متسع من الكهف لينالهم نسيم الريح فيه . (30) فللشمس هنا دور كبير في الحفاظ على أجساد الفتية داخل الكهف الى حين استيقاظهم في الزمن المحدد الذي اراده الباري عز وجل

-الورق بالكسر : الدراهم (31) ، أو " الفضة مضروبة أو غير مضروبة " (32) ولها دور كبير في بناء أحداث تلك القصة وتطورها فظهورها في النص حمل دلالة العثورعلى أصحاب الكهف ، وعرفت قصتهم في ذلك الوقت ، فعندما استيقظوا من نومهم الطويل أرسلوا رسولا منهم الى المدينة ليشتري لهم الطعام " فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها أزكى طعاما فلياتكم برزق منه " . الكهف /19 وبوساطة هذه الدراهم تم العثور عليهم وعرفت قصتهم .

طرائق تقديم الشخصيات

تعني " الكيفية التي يتم بها خلق الشخصيات الروائية وبناء وجودها في العمل الروائي ".(33) وهي "منهج يقدم به المؤلف شخصية ما في القصة أو المسرحية ، وهذا المنهج يكون عادة باحدى الطريقتين : إما أن يصف المؤلف الشخصية وصفا دقيقا ، وإما أن تظهر الشخصية من خلال أحداث الرواية نفسها ، وتفاعل الشخصية معها ".(34) وبناء على ذلك ستتحدد طرائق تقديم الشخصيات . في قصة الكهف . بطريقتين :

١ -الطريقة التحليلية وتسمى بالتفسيرية ، المباشرة ، وفيها يقوم راو خارجي "بشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها ويعلق على بعض تصرفاتها ويفسر البعض الآخر .(35)

٢ -الطريقة التمثيلية وقد تسمى بالدرامية ، غير المباشرة ، وفيها يسمح للشخصية بالتعبير عن نفسها وكشف جوهرها بحواراتها وتصرفاتها الخاصة . (36)

وقد تتداخل الطريقتان معا في تقديم تلك الشخصيات فلا تكاد تنفصل طريقة على أخرى . وهذا ماسيوضح أثناء البحث .

قدمت شخصيات قصة الكهف في بداية سرد أحداثها بالطريقة التحليلية ، فالراوي هو الله عز وجل ، وهو راو عليم بكل مجريات الأحداث ، وهو الذي سرد أحداث تلك القصة . بوساطة الوحي لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم . عندما قال : " أم حسبت أنَّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا " الكهف / 9 ثم تبدأ القصة بلحظة دخول الفتية " إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ..." الكهف / 10وبدخولهم للكهف تتداخل الطريقة التمثيلية بتقديم هؤلاء الفتية عندما ينقل الباري عز وجل قولهم " ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا " .الكهف /10 في هذا النص تحدث الفتية بلسانهم فتوجهوا لله بالدعاء عندما فقدوا قوتهم وانقطعت حيلتهم فبادروا الى خالقهم ليشملهم بعطفه ويهديهم الى مافيه نجاتهم . (37) ثم يعاود الباري عز وجل سرد كل تفاصيل القصة فيقول : " فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا . نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم فزنادهم هدى وربطنا على قلوبهم ... " الكهف / 14.11

الشخصيات . في هذا النص . لم تقدم نفسها للمتلقي ، ولم تفصح عن مشاعرها وأفكارها وصفاتها ، بل قدمها الباري عز وجل ، فهو الذي أنامهم نومة ثقيلة لم ينتبهوا فيها الى الأصوات سنين معدودة ، (38)ثم ايقظهم

ليعلم أي الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف عدَ أمدَ لبثهم وعلم ذلك ، (39) ثم قص خبرهم لنبيه الكريم بالصدق والحق فهم أحداث وشباب آمنوا بربهم وزادهم الله بصيرة في الدين ورغبة في الثبات عليه وشدَ عليهم بالألطاف والخواطرالقوية للإيمان . (40)

كل هذه الأحداث . نومهم ، بعثهم ، نبأهم ، إيمانهم – لم تسردها شخصيات أصحاب الكهف بلسانها ، بل تكفل ذلك الباري عز وجل ، فهو الذي وصف كل مجريات الأحداث . ثم تتابع الأحداث لكن بلسان أصحاب الكهف الذين " ...إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلناإذا شططا ، هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا " . الكهف / 15.14وهنا تستلم أصحاب الكهف زمام سرد الأحداث عندما وصفوا حال قيامهم بين يدي ملكهم الجبار ، وردهم على طغيانه وكفره عندما قالوا له ربنا الذي نعبده خالق السموات والأرض لن نعبد إلها سواه ، وإن دعونا مع الله إلها آخر فلقد قلنا إذا قولا مجاوزا للحق غاية في البطلان . وهؤلاء قومنا أهل بلدتنا الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها هلا يأتون على عبادتهم غير الله بحجة ظاهرة ، لكن لابرهان لديهم على مايدَعون . (41)

ويتتابع قولهم : " وإذ اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا ". الكهف / 16هذا الخطاب بين هؤلاء الأصحاب نقل بلسانهم ايضا ، فقد قال رئيسهم إذا فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانبا وفارقتم ومايعبدون أي اصنامهم . إلا الله فانكم لن تتركوا عبادته ، فاجعلوا الكهف مأواكم يبسط عليكم ربكم من نعمته ويسهل عليكم ماتخافون من الملك وظلمه ، ويأتيكم باليسر والرفق واللطف . (42)

بعد أن قدمت الشخصيات نفسها في النصوص السابقة . بالطريقة التمثيلية ، فتحدثت بلسانها عن خطابها مع الملك الجبار ، ومع بعضهم بعضا ، يعود السرد مرة أخرى ليقدم الشخصيات بالطريقة الثانية . التحليلية . عندما يصف الباري عز وجل حالهم داخل الكهف والعناية التي شملتهم فيه " وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا " . الكهف /18.17

في هذا النص وُصف حال الفتية ،فالشمس تميل عنهم وقت طلوعها من جهة اليمين ، ولاتقربهم من جهة اليسار وقت غروبها ، وهم في متسع من الكهف ، اي أنهم في ظل نهارهم كله لاتصيبهم الشمس في طلوعها ولافي غروبها مع انهم في مكان متسع واسع منفتح معرض لأصابة الشمس لولا أنَ الله يحجبها عنهم ، وهذا اللطف هو آية من آيات الله وكرامة لهم لجهادهم في سبيله ، فمن سلك طريقة المهتدين الراشدين فقد أصاب الفلاح ، ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يرشده ويهديه . (43)

ويستمر وصف الباري لهم فهم نائمون في الحقيقة لكن من يراهم يحسبهم منتبهين لانهم مفتحو العيون ، يتنفسون كأنهم يريدون أن يتكلموا ولايتكلمون ، ويتقلبون كما يتقلب اليقظان تارة عن اليمين الى الشمال ، وتارة عن الشمال الى اليمين ، ومعهم كلبهم باسط ذراعيه على الأرض كافتراش السبع بباب الفجوة ، ومن يراهم يعرض عنهم ويفرَ عنهم خوفا ورعبا ؛ (44) " لطول أظفارهم وشعورهم ... ولوحشة مكانهم "(45) ، وقيل " إنَ

الله تعالى منعهم بالرعب حتى لايراهم أحد" . (46)

ولايزال السرد بلسان الباري " وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم " الكهف/ 19فالراوي هنا هو الله الذي أحياهم " من تلك النومة التي أشبهت الموت ... ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم فينتبهوا بذلك على معرفة صانعهم ويزدادوا يقينا الى يقينهم ".(47)

وبعد إ حيائهم ينقل الباري عز وجل الحوار الذي دار بينهم حول مدة لبثهم " ...قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما وليتلطف ولايشعرن بكم أحدا . إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا ". الكهف /20.19

فالتساؤل هنا لم ينقله الباري عز وجل بلسانه بل ترك شخصيات أصحاب الكهف يتحدثون بلسانهم . ويقدمون أنفسهم بالطريقة التمثيلية . ويتحاورون فيما بينهم عن مدة نومهم جميعا ، وقد ظن بعضهم أنهم ناموا يوما أو بعض يوم بينما لم يظن بعضهم الآخر بذلك ، ورد علمه الى الله فهو الأعلم بتلك المدة ، وبعد تلك المحاورة فيما بينهم عن مدة نومهم اقترحوا إرسال أحدهم بورقه الى المدينة ليشتري لهم طعاما على أن يكون متنكرا ويتلطف معهم بالقول كي لايعرفه أحدهم في المدينة فيقتل أو يرد الى دين الملك .(48)

ثم ينقل سرد الأحداث اللاحقة الباري . الراوي العالم بكل شي . واصفا لرسوله الكريم عثور أهل المدينة على هؤلاء الفتية ومعرفة قصتهم " وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أنَ وعد الله حق ... ". الكهف / 21والتنازع بينهم كان بعد العلم بموتهم ، قال مشركوذلك الوقت استروهم من الناس واجعلوهم وراء ذلك البنيان أي وراء الجدار. فلا يطلع عليهم أحد وربهم أعلم بحالهم وأمرهم ".(49)

بعد ذلك يتحول السرد بلسان الشخصيات المتنازعة ."إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا "الكهف / 21. فقد أفصحت عن رأيها حول هؤلاء الفتية ، واتخذت الفئة المشركة قرارها بسترهم من الناس أي جعلهم وراء ذلك البنيان ، فيما قررت الفئة المؤمنة (وهم أولياء أصحاب الكهف وملك ذلك الزمان الجديد) بناء معبد ، موضع للعبادة والسجود لكي يتعبد الناس فيه ببركاتهم . (50) ولم يقتصر نزاع تلك الأطراف المتحاورة حول مصير أصحاب الكهف بل امتد نزاعهم حول عددهم " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ..." . الكهف / 22وقد نقل هذا النزاع أيضا بلسان الباري عز وجل ولم تنقله شخصيات أهل الكهف بلسانها فتفصح عن شكها وعدم يقينها بعددهم الحقيقي . وسرعان ماقطع الباري ذلك النزاع عندما وجه خطابه لنبيه الكريم قل يامحمد " ربي أعلم بعدتهم مايعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولاتستفت فيهم منهم أحدا " الكهف /22 " اي لاتجادل الخائضين في عددهم وشأنهم ، ولا تستفت في أهل الكهف وفي مقدار عددهم من أهل الكتاب أحدا ولاتستفتهم من جهتهم ".(51)

ولايزال الباري عز وجل موجها خطابه لرسوله الكريم بعدم مجادلة أهل الكتاب في مدة لبث أصحاب الكهف " ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به واسمع مالهم من دونه من ولي ولايشرك في حكمه أحدا ". الكهف /25 .26

وبنهاية تحديد علم الله بعدد اصحاب الكهف تنتهي أحداث تلك القصة التي قدمت شخصياتها بالطريقتين معا ، فقد ابتدأت بالطريقة التحليلية عندما روى الباري عز وجل أحداثها ، وختمت ايضا بالطريقة نفسها لانَالله هو الذي حدد علمه بعددهم ، وفيما بين الطريقتين تداخلت الطريقة التمثيلية عندما قدمت الشخصيات نفسها في مواضع محددة في القصة لاسيما في الخطاب الحواري الذي جرى بينها .

ثالثا : بناء الزمن

يعد الزمن من العناصر المهمة في الفن القصصي فهو يسهم في " عرض الأحداث وإخراجها في صورة تقرب المشهد وتجليه وتكشف مراميه فهو يعطي للحدث صيغة خاصة تشير للحين الذي وقع فيه " . (52)ولايمكن دراسة الزمن إلا عبر الأحداث التي تجري فيه فالحدث " اقتران فعل بزمن " ، (53) والزمن " مدى بين الافعال " .(54) وبناء على تلك الأهمية ستتم دراسة البنية الزمنية في القصة القرانية المدروسة ضمن ثلاثة مستويات :

المستوى الأول ستدرس المفارقات الزمنية .

المستوى الثاني سيدرس الإيقاع الزمني .

المستوى الثالث سيدرس التواتر الزمني

أولا: المفارقات الزمنية

يرى جينيت أنَ المفارقات الزمنية تنشأ عندما يختلف زمن القصة عن زمن السرد ، وينجم عن ذلك وجود حركتين زمنيتين هما : الاسترجاع والاستباق .فالاسترجاع هو " عملية سردية تتمثل في إيراد السارد لحدث سابق على النقطة الزمنية التي بلغها السرد ".(55) أما الاستباق فيعني " قص حادثة قبل زمن وقوعها "(56) ، قد تقع في المستقبل .

وعند قراءتنا للنص القرآني الذي سرد أحداث قصة الكهف وجدنا حضورا واضحا لتلكما الحركتين : تمثلت الحركة الأولى بافتتاح أحداث القصة بقول السارد . الباري عز وجل . " أم حسبت أنَ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا " . الكهف / 9 فهذا النص يدل بوضوح على أنَ قصة هؤلاء الفتية وقعت في الأزمان السابقة وأسترجعت أحداثها بوساطة الوحي . ليعلم الرسول الكريم بما حدث لهم مسبقا ، وهذا ماشار اليه رياض بن يونس عندما قال : إنَ " كل قصة نبوية كانت تسرد عن طريق الاسترجاع قياسا الى زمن الوحي وقياسا الى زمن القراءة أيضا . لأنَ زمن النص القرآني الفريد يشمل لحظة القراءة مهما كان توقيتها ..." (57). ثم يتتابع استرجاع أحداث هذه القصة " إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا . فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا " .الكهف 12.10

لوتأملنا هذا النص القصصي القصير لوجدنا أنَ كل الأحداث فيه قد أُسترجعت من الماضي البعيد لاسيما أنَ الأفعال الواردة فيه تعزز ذلك ، فكلها أفعال وردت بصيغة الفعل الماضي (أوى ، فقالوا ، فضربنا ، بعثناهم ، أحصى ، لبثوا) وإنَ العودة الى ذلك الماضي بورود صيغة الأفعال الماضية يؤكد استرجاع القصة .

وبالتقنية نفسها يتم سرد كل أحداث القصة ، وبصيغة الأفعال الماضية أيضا التي تدل على وقوع أحداث القصة في الزمن الماضي (آمنوا ، زدناهم ، ربطنا ، قاموا ، فقالوا ، قلنا ، اتخذوا ، افترى ، اعتزلتموهم ، اطلعت ،

غربت ، لوليت ، بعثناهم ، قالوا ، لبثتم ، لبثنا ...) .

ومن الأحداث المسترجعة ننتقل الى الأحداث التي نقلت بتقنية الاستباق الذي ظهر في المحاورة التي جرت بين هؤلاء الفتية عندما أرسلوا أحدهم الى المدينة ليشتري لهم الطعام على ألا يكشف أمره آنذاك " إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا أبدا " . الكهف /20 إنَ الأفعال الواردة في هذه الآية (يظهروا ، يرجموكم ، يعيدوكم ، تفلحوا) كلها أفعال مضارعة تدل على وقوع الحدث في الحاضر أو المستقبل ، فخوف أهل المدينة من اكتشاف أمرهم وعقوبة الرجم التي ستنتظرهم لو أطلعوا على أمرهم وأعادوهم الى دينهم السابق ، كل ذلك يؤكد توقع حصول هذه الأحداث في المستقبل وان لم تقترن بسين الاستقبال . فالاستباق إذن تمثل في توقع حصول هذه الأحداث مستقبلا .

وتمثلت هذه التقنية أيضا عندما حدث التنازع بين القوم الذين عثروا على هؤلاء الفتية بعد استيقاظهم " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ".الكهف / 22 إنَ وجود حرف السين (للاستقبال) والأفعال المضارعة المكررة في هذا النص . يقولون ويقولون . يدل على إنَ هذا التنازع والاختلاف في عدد هؤلاء الفتية لم يقع في الوقت الحاضر ، أي وقت وقوع الحدث بخروج هؤلاء الفتية ، بل سيتم وقوعه مستقبلا ، وقيل إنَ "هذا إخبار من الله عز وجل بأنه سيقع نزاع في عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران الى النبي ، فجرى ذكر أصحاب الكهف ، فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، وقالت النسطورية خمسة سادسهم كلبهم ، وقال المسلمون سبعة وثامنهم كلبهم ".(58)

وبهذه التقنية أُختتمت أحداث تلك القصة التي أفتتحت بتقنية الاسترجاع وأختتمت بتقنية الاستباق

ثانيا : الإيقاع الزمني

يتمثل بأربع تقنيات سردية ، اثنان منها تسهم في تسريع حركة الزمن السردي ، واثنان منها تبطيء من حركة الزمن . أما تقنيتا التسريع فهما الحذف والخلاصة وتقنيتا التبطئة هما المشهد والوقفة . الحذف هو مرورالراوي "عن حادثة معينة دون أن يعالج ماحدث فيها من أحداث "(59) أما الخلاصة فتعني " تلخيص عدة أيأم ،أو عدة أسابيع ، أو عدة سنوات في مقاطع أو صفحات قليلة ومن دون الخوض في ذكر التفاصيل "(60).والمشهد نقيض الخلاصة ففيه تذكر الأحداث بكل تفصيلاتها ،(61) ويكون الإيقاع بطيئا واللحظات الزمنية مشحونة ، (62) وقد يتجسد في الحوار .أما الوقفة فتتمثل في الحالات التي يكون القص فيها وصفا ، (63)وفيها يصبح " الزمن على مستوى القول أطول وربما لانهاية له من الزمن على مستوى الوقائع " . (64) وسوف يتتبع البحث هذا الإيقاع الزمني . بتقنياته الأربع . في القصة المدروسة .

بدأ الباري عز وجل بوصف أصحاب الكهف " إنهم فتية آمنوا بربهم " .الكهف / 13 في هذا النص كشف الخالق . لرسوله الكريم . عن صفات هؤلاء الفتية ، وبهذا الكشف تمثلت تقنية الوقفة ،فوجودها في هذا النص أمر ضروري فهو جزء من نسيج السرد. وبالإيقاع نفسه (إيقاع تبطئة الزمن) يتجلى المشهد الحواري بين هؤلاء الفتية عندما يتحاورون فيما بينهم حول عبادتهم لله ورفضهم لعبادة قومهم وقرارلجوئهم الى الكهف " إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . وإذا اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله فأووا الى

الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهي ء لكم من أمركم مرفقا " .الكهف/14-16

وابطئت أيضا تلك الحركة الزمنية عندما سردت الأحداث داخل الكهف فوصفت حركة الشمس بشروقها وغروبها ، ووصف تقليب أجسادالفتية اثناء نومهم " وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه " . الكهف / 17"وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ". الكهف /18

وبعد أن أبطئت حركة الزمن في هذه الصورة الوصفية تتابعث الأحداث مباشرة على الفتية عندما بعثوا من نومهم الطويل ، وهنا بدأت حركة الزمن بالاسراع عندما أوجزت تلك الأحداث " وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ". الكهف /19 في هذا النص القصصي أختزل كل ماجرى خلال مدة بقائهم ، فقد طويت سنوات نومهم الى حين موعد استيقاظهم وبعثهم .

وبعد إسراع الزمن سرعان ماتتباطأ حركته مرة أخرى عندما يتحاور الفتية فيما بينهم متساءلين عن مدة بقائهم في الكهف " ...قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها ازكىطعاما فليأتكم منه وليتلطف ولايشعرنَ بكم أحدا إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا " الكهف /2019

ثم توجز الأحداث بعد ذلك عندما يتم العثور عليهم ويكتشف أمرهم " وكذلك أعثرنا عليهم ..." . الكهف /21وبهذا الإيجاز سرع مرة أخرى إيقاع الزمن في هذا النص القصير. بعد ذلك يتباطا مباشرة بتتابع الأحداث عندما يبدأ الحوار بين القوم المتنازعين حول امر الفتية " ...إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذنَ عليهم مسجدا " . الكهف / 21

ثالثا : التواتر الزمني

يعني " إعادة سرد شي ما يتم حدوثه او تكراره داخل الحدث " . (65)ويقسم على اربعة أقسام :

1. يحكي مرة واحدة ماوقع مرة واحدة .
2. يحكي مرات لانهائية ماوقع مرة واحدة .
3. يحكي مرة واحدة ماوقع مرات لانهائية .
4. يحكي مرات لانهائية ماوقع مرات لانهائية . (66)

وقد تجلى هذا المستوى بوضوح في القصة المدروسة بقسميه الأول والثالث : تمثل القسم الأول بسرد أحداث قصة أصحاب الكهف ، فهي من القصص التي وقعت أحداثها مرة واحدة ، وسردت في القرآن الكريم مرة واحدة ايضا في سورة الكهف ، ولم يتكرر سردها في سورة أخرى ، ولم يتم الإشارة اليها مطلقا .*

أما القسم الثالث فقد تجسد بقوله عز وجل : " وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه " .الكهف / 17 فميلان الشمس وقت طلوعها عن الكهف الى جهة اليمين وعدولهااوتجاوزها عنهم الى جهة الشمال وهم في متسع منه ، (67) كل ذلك حدث مرات لانهائية طول سني بقائهم في الكهف ، لكنَ القرآن الكريم سرد هذا الحدث مرة واحدة في هذه الآية .*

ويتمثل كذلك هذا المستوى في قوله عز وجل :" ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال " .الكهف / 18 فالتقليب

أيضا لجهتي اليمين والشمال حدث مرات لانهائية في فترة نومهم ، لكنَه سرد مرة واحدة في هذه القصة .

رابعا : بناء المكان

لعل من أهم عناصربناء قصة الكهف هو المكان ، وعنوان السورة حمل دلالة هذه الأهمية ، فقد دارت كل أحداث هذه القصة فيه . ويرتبط هذا المكان بالحدث الذي وقع فيه ، فضلا عن ارتباطه بالشخصية التي عاشت بداخله فتلاحمت معه وشعرت بالألفة بداخله . ومن هذا المنطلق سيدرس البحث هذا المكان ضمن علاقته بالحدث أولا ثم علاقته بالشخصية ثانيا .

اولا : في علاقة المكان بالحدث الذي وقع فيه ، تجلت بنيتان مكانيتان هما :

1. المكان الرئيس وهو الفضاء العام الذي جرت فيه كل أحداث هذه القصة.

2. المكان المضمر ويعني المكان الواقعي الذي أضمر القرآن الكريم اسمه ومعالمه "وتسميتهبالقرية أو المدينة (68)."

شكَل الكهف الخلفية المكانية الرئيسة لأحداث هؤلاء الفتية ، وبدا ذلك بوضوح باستهلال القصة "إنَ أصحاب الكهف والرقيم ..." الكهف /9فهنا حددت جغرافية هذا المكان ، ورسمت معالمه ،وفضلا عن تحديد معالم هذا المكان فقد تحركت كل الشخصيات فيه ،إبتداء من لحظة دخولهم للكهفوانتهاء بالعثورعليهم ، والتنازع حول امرهم . ومابين لحظة دخولهم ، والعثور عليهم ،تعاقبت كل الأحداث التي مرت بهم داخل هذا المكان .

وقد أشار القرآن الكريم إشارة صريحة الى هذا المكان في نصوص عدَة ابتدأت بقرار هروبهم من المدينة ، وتوجههم الى ذلك الكهف ثم نومهم الطويل وقطع الاصوات عنهم بإرادة الله ثم الرعاية الالهية التي شملتهم أيضا في ذلك المكان . كل هذه الاحداث توالت على هؤلاء الفتية داخل هذا المكان ، وحتى العثور عليهم ، والتنازع حول أمرهم كان في المكان نفسه .

لذا اصبح هذا المكان الفضاء الرئيس لكل الاحداث التي مرت بهؤلاء الفتية .

أما المكان الثاني فقد أضمر في القصة المدروسة في قوله تعالى : " فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه ..." . الكهف / 19 فالمدينة في هذا النص مكان مضمر لم يشر الى اسمه ولا الى موقعه بل اكتفى الباري عز وجل بالاشارة الى وجوده في القصة . ويبدو أنَ حكمته اقتضت إضماره وعدم تسميته ، كما اضمرت أماكن اخرى في قصص أخرى في القرآن الكريم .*

وهناك إشارة أخرى لهذا المكان في القصة نفسها لكن لم يسم باسم المدينة ، بل قراءة النص أوحت بوجوده " إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا . وإذ اعتزلتموهم ومايعبدون فأووا الى الكهف" . الكهف 16.14إنَ قيام الفئة المؤمنة بوجه ملكهم الجبار وإعلان إيمانهم ، وقع في تلك المدينة التي أخفي اسمها ورسمها ومعالمها ، وإنَ قرار اعتزالهم وترك عبادتهم حدث ايضا في تلك المدينة ، وقرارلجوئهم الى الكهف المكان الرئيس . كان تصريحا واضحا بالخروج من تلك المدينة أيضا . كل ذلك يشير الى إضمارالمكان في هذه النصوص إذ لم تتم الاشارة الى وجوده ورسم معالمه .

ثانيا : في علاقة المكان بالشخصية برزت علاقتان أساسيتان :

1. علاقة انتماء.

2. علاقة تنافر.

برزت بوضوح علاقة الانتماء بين الفتية المؤمنين والمكان . الكهف . الذي قرروا اللجوء اليه . وقد تمثلت هذه العلاقة في النص الآتي " فاذا اعتزلتموهم ومايعبدون فأووا الى الكهف ينشرلكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا " . الكهف / 16 إنَ رغبة الفتية في اللجوء لذلك المكان ليصبح مأواهم ولتمتد يد الرحمة الإلهية اليهم ويسهل عليهم مايخافون من ملكهم الظالم وليأتيهم اليسر والرفق واللطف من خالقهم ، (69)كل ذلك يؤكد انتماء تلك الشخصيات للمكان . وعلى الرغم من ضيقه وصعوبة التواجد فيه إلا أنَ هؤلاء الفتية تناسوا جغرافيته ومعالمه الظاهرية ، ولم يتعاملوا معه على وفق هذا التكوين ، بل أنَ إيمانهم بخالقهم جعلهم يتيقنون بأن الكهف سيصبح مكانا مريحا وآمنا لهم . وفعلا تحقق يقينهم بخالقهم ، وشملتهم الرعاية الإلهية فيه .

أما علاقة التنافر بين الشخصية والمكان فقد تمثلت بانسلاخ الفتية المؤمنين عن المدينة . مدينتهم المضمر اسمها . ورفضوا التواجد فيها على الرغم من سعتها وسهولة العيش والاستقرار فيها إلا أنهم لم يتآلفوا معها ، ولم يشعروا بالطمأنينة فيها . والنص الآتي يوضح ذلك : " فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرنَ بكم أحدا إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ..." . الكهف /20.19

في فضاء هذه المدينة نلمح دلالة واضحة على العدائية بينها وبين الفتية ، فالرجم بانتظارهم ، أو الإعادة الى الكفر والضلالة ، وعدم النجاة من الملك الجبار ، وكل ذلك يشير مباشرة الى رفض هؤلاء الفتية لهذا المكان والانسلاخ عنه ، وتفضيل مكان آخر يكون أكثر أمنا واستقرارا لهم .

الخاتمة

خلال ماتقدم توصل البحث للنتائج الآتية :

-بنيت أحداث قصة أصحاب الكهف على وفق نسق فني متتابع من بدايتها لنهايتها .

-انمازت تلك القصة بوجود شخصيات اعتبارية كان لها الدور الأساس في بناء أحداثها سواء أكانت شخصيات رئيسة أم ثانوية . وفي الوقت نفسه لم يجد البحث شخصية واحدة انفردت باي دور بطولي فيها . كذلك وجد البحث شخصيات غيربشرية أسهمت في بناء الحدث القصصي في هذه القصة . وقد قدمت كل تلك الشخصيات بالطريقين التحليلية والتمثيلية

- في بناء الزمن وجد البحث حضورا واضحا لحركتي الاسترجاع والاستباق ، فقد أفتتحت القصة باسترجاع احداثها ، وأختتمت بالاستباق . وقد تغيرت حركة الإيقاع الزمني في تلك الأحداث فقد سرعت تارة ، وابطئت تارة اخرى . ولم يتواترالزمن في سرد تلك الأحداث ، بل سردت مرة واحدة في سورة الكهف .

- شكّل المكان عنصرا مهما من عناصر تلك القصة ، فقد تجلت فيه بنيتان مكانيتان حسب علاقتهما بالحدث المسرود وبالشخصية : وهما المكان الرئيس (الكهف) الذي احتل مساحة واسعة في هذا النص القصصي ، وقد تآلفت الشخصيات معه وشعرت بالاطمئنان فيه . والى جانب ذلك برز المكان الثاني المضمر (المدينة) الذي ابتعدت عنه الشخصية على الرغم من الفته وطبيعته الجغرافية .

الهوامش

(١) البناء الفني لرواية الحرب .دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة : عبدالله ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1988 ، 27.

(٢) ينظر: الرحلة الخيالية في الأدب العربي (دراسة في بنيتها السردية من خلال قصص ألف ليلة وليلة) : مصعب عبد اللطيف الأنصاري ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2001 ، 75.

(٣) ينظر : نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، ت، ابراهيم الخطيب ،د.ط ، مؤسسة الأبحاث العربية والشركة المغربية للناشرين المتحدين ، بيروت ، لبنان ، 1998 ، 122–149.

(٤) ينظر : البناء الفني لرواية الحرب ، 27.

(٥) ينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ،ط 3 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987، 423.

*هناك تقسيمات أخرى لم تخرج عن التقسيمات الرئيسة أعلاه ، منها على سبيل المثال لا الحصر، تقسيم سعيد يقطين الذي قسمها على ثلاثة أنساق (التتابع ، التضمين ، التناوب) ، وتقسيم د. سامية أحمد التي قسمتها على ثلاثة أنساق (التسلسل ، التداخل ، التناوب) ...الخ. ينظر تحليل الخطاب الروائي : سعيد يقطين ،ط 4، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2005 ، 257–258 ، والتحليل البنيوي للسرد : د.سامية أحمد ، مجلة الأقلام ، عدد 3 ، سنة 14 ، بغداد ، 1987 ، 8–9.

**سيستغني البحث عن دراسة الأنساق الأخرى لعدم تواجدها في القصة القرآنية المدروسة .

(6) ينظر البناء الفني لرواية الحرب ، 28.

(7) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج 5–6 ، للشيخ أبي الفضل بن الحسن الطبرسي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1986 ، 698.

(8) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 2 ، ابي القاسمى جار الله محمود بن عمرو الزمخشري الخوارزمي ، د.ط ، انتشارات آفتاب، تهران د.ت ، 474.

(9) المكان نفسه .

(10) نفسه : 475–476 .

(11) المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب : مجدي وهبة ، كامل المهندس ، ط2 ، لبنان ، 1984 ، 208 .

(12) شخصيات قصة يوسف عليه السلام في القران الكريم ، دراسة تحليلية : نبهان حسون عبدالله أحمد السعدون ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ،2005، 13.

(13) ينظر : فن القصة ، محمد يوسف نجم ، ط2 ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1956 ، 182.

(14) ينظر : القصة القصيرة ، د. سامية أحمد ، مجلة فصول ، مج2 ، عدد4، 1982، 182.

(15) أدب القصة في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية كاشفة عن معالم الإعجاز : د. عبدالجواد محمد المحص ، د. ط ، 2000 ، 150 ، وينظر شخصيات قصة يوسف عليه السلام ، 14 .

(16) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني ، دراسة فنية : د. عماد عبد يحيى ، ط9 ، دار دجلة ، عمان ،

2009 ، 289.

(17) نفسه ، 343.

(18) الشكل القصصي في القرآن الكريم ، دراسة جمالية : نبهان حسون عبد الله احمد السعدون ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 1999، 342 .

(19) ينظر : البرهان في تفسير القرآن ، مج 6 ، السيد هاشم الحسيني البحراني ، ط 1 ، مؤسسة البعثة للطباعة والنشروالتوزيع، لبنان ، بيروت ،1999 ، 204.

(20) ينظر مجمع البيان ج5-6 ، 710 .

(21) ادب القصة في القرآن الكريم ، 151 .

(22) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني ، 352 .

(23) ينظر مجمع البيان مج 5-6 ، 704.

*في الآية الثانية ورد ذكر الكلب بقوله تعالى : " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم " الكهف / 22.

(24) ينظر مجمع البيان مج 5-6 . 704.

(25) القصة في سورة الكهف ، دراسة تحليلية ، م.م. سهير كاظم حسن ، مجلة آداب البصرة ،عدد 57 ،سنة 2011، 88.

(26) المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ،ج 2: د. عبدالله الطيب المجذوب ، نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط1، 1955، 54.

*سيقف البحث عند الكهف بوصفه مكانا رئيسا في القسم الأخير من هذا البحث (بناء المكان).

(27) مفردات ألفاظ القرآن : العلامة الراغب الأصفهاني ، ت. صفوان عدنان داوودي ، ط 1 طليعة النور، عراق ، النجف الأشرف 2000 ، 362.

(28) ينظر : مجمع البيان ، مج 5-6 ، 697 ..

(29) القصة في سورة الكهف ، 88.

(30) ينظر : مجمع البيان ، مج5-6 ، 702 .

(31) مفردات الفاظ القرآن ، 866.

(32) الكشاف ، 476.

(33) جماليات التشكيل الروائي ، دراسة في الملحمة الروائية ، مدارات الشرق ، نبيل سليمان : أ.د. محمد جابر عبيد ، د. سوسن هادي جعفر البياتي ،ط1، دار الحوارللنشر والتوزيع .، سوريا ، اللاذقية ، 2008، 178.

(34) المصطلحات في اللغة والأدب ، 65.

(35) فن القصة ، 98.

(36) ينظر : نفسه ، 98.

(37) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ،ج13: السيد محمد حسين الطباطبائي ، د.ط ، دار الكتب الاسلامية

، طهران ، 1379، 265.

(38) ينظر : الكشاف ، ج2,473.

(39) ينظر : مجمع البيان ، ج5-6، 698 .

(40) ينظر: نفسه ، 700.

(41) ينظر : المكان نفسه .

(42) ينظر : نفسه ، 70-71

(43) ينظر : الكشاف ،ج2 ، 475.

(44) ينظر : مجمع البيان ، ج 5-6 ، 704.

(45) الكشاف ، 476، وينظر : التفسير الواضح حسب أسباب النزول ، القسم الثاني ، د. محمد عايد الجابري ، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2010، 208.

(46) تفسير الخطيب الشربيني المسمى السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير ، مج 2 : الإمام الشيخ محمد بن احمد الخطيب الشربيني المصري ، ط 1 ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتبالعالمية ، بيروت ، لبنان ، 2004 ، 396.

(47) مجمع البيان ، ج5-6، 705.

(48) ينظر : البرهان ، ج6 ، 205 ، والميزان ، ج13 ، 275 -279 .

(49) ينظر : مجمع البيان ، ج5-6 ، 710.

(50) ينظر المكان نفسه .

(51) نفسه ، 710 -711.

(52) البنية السردية في القصص القرآني : محمد طول ، د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 ، 34 .

(53) دراسات في القصة العربية الحديثة ، محمد زغلول سلام ، د.ط، منشأة المعارف ، الاسكندرية ،د.ت ، 11.

(54) الأزمنة والامكنة ، ج1 ، أبو علي المرزوقي ، د.ط ، دار المعارف العثمانية ، الهند ، 1332 ، 141

(55) البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، ج 1 ، بناء السرد ، د. شجاع مسلم العاني ، د. ط ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، 1994 ، 62 .

(56) المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم انكليزي – عربي ، د. محمد عناني ، ط 2 ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، 2001 ، 106 .

(57) أدبية السرد القرآني ، مقاربة من منظور علم السرد ، أطروحة دكتوراه ، رياض بن يوسف كلية الآداب ،جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010، 106.

(58) مجمع البيان ، مج 5-6 ، 710 .

(59) البيئة الروائية في رواية الأخدود (مدن الملح) لعبد الرحمن منيف ، د. محمد عبدالله القواسمة ، ط 1 ،

مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2009 ، 86 .

(60) الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة : د. موريس ابو ناضر ، د. ط ، دار النهار للنشر ، بيروت ، 1979 ، 98.

(61) ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، ج1 ، 65 .

(62) ينظر : البنية الروائية في رواية الأخدود ، 84 .

(63) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : يمنى العيد ، ط 3 ، دارالفارابي ، بيروت ، لبنان ، 2010 ، 126.

(64) المكان نفسه .

(65) الزمان . المكان المتخيل بين النص الشكسبيري والمعالجات الشكسبيرية الحديثة : مروة مهدي مصطفى ، ط1 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2007 ، 101.

(66) ينظر : خطاب الحكاية ، بحث في المنهج : جيرار جينيت ، ت . محمد معتصم ، عبد الجليل الأزدي ، عمر حلي ، ط2 ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1997 ، 130.

*في السورة نفسها سردت قصة صاحب الجنتين ضمن هذا المستوى ، وكذلك قصة (ذو القرنين) .

(67) مجمع البيان ، مج6.5 ، 703.

*سيستغني البحث عن التقسيمين : الثاني والرابع لعدم وجودهما في القصة المدروسة .

(68) أدبية السرد القرآني ، 157.

*ينظر على سبيل المثال قوله تعالى في سورة الحجر الآية 4 " ومأأهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ". فقد اضمررسم هذه القرية ومعالمها ووصفها.

(69) ينظر : مجمع البيان مج 6.5، 701.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

-أدب القصة في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية كاشفة عن معالم الإعجاز :د. عبد الجواد محمد المحص ، د. ط ، 2000.

-أدبية السرد القرآني ،مقاربة من منظور علم السرد ، أطروحة دكتوراه : رياض بن يوسف ، كلية الآداب ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2010 .

-الأزمنة والأمكنة ، ج1 : ابو علي المرزوقي ، د. ط ، دار المعارف العثمانية ، الهند ، 1332

-الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة ، د. موريس أبو ناضر ، د.ط ، دار النهار للنشر ، بيروت ، 1979 .

-البرهان في تفسير القرآن ، مج 6: السيد هاشم الحسيني البحراني ، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، بيروت ، 1999.

-البناء الفني في الرواية العربية في العراق ،ج 1 ، بناء السرد : د. شجاع مسلم العاني ، د. ط ، دار الشؤون

الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، 1994 .

-البناء الفني لرواية الحرب ، دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة : عبدالله ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988 .

-البنى والدلالات في لغة القصص القرآني ، دراسة فنية : د. عماد عبد يحيى، ط 9، دار دجلة ، عمان ، 2009.

-البنية الروائية في رواية الأخدود (مدن الملح) لعبد الرحمن منيف : د. محمد عبدالله القواسمة ، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2009.

-البنية السردية في القصص القرآني : محمد طول ، د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 .

-التحليل البنيوي للسرد : د. سامية أحمد ، مجلة الأقلام ، عدد 3 ، سنة 14 ، بغداد ، 1987.

-تحليل الخطاب الرواي : سعيد يقطين ، ط4 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2005 .

-تفسير الخطيب الشربيني المسمى السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، مج2 : الإمام الشيخ محمد بن احمد الخطيب الشربيني المصري ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، لبنان ، 2004 .

-التفسير الواضح حسب أسباب النزول ، القسم الثاني : د. محمد عابد الجابري ، ط 3، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2010 .

-تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي : يمنى العيد ، ط3 ، دار الفارابي ، بيروت لبنان ، 2010 .

-جماليات التشكيل الروائي ، دراسة في الملحمة الروائية (مدارات الشرق) لنبيل سليمان : أ. د. محمد صابر عبيد ، د. سوسن هادي جعفر البياتي ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، اللاذقية ، 2008 .

-خطاب الحكاية ، بحث في المنهج : جيرار جينيت ، ت . محمد معتصم ، عبد الجليل الأزدي ، عمر حلي ، ط2 ، المجلس الأعلى للثقافة ، منشاة المعارف ، الاسكندرية ، د. ت .

-الرحلة الخيالية في الأدب العربي (دراسة في بنيتها السردية من خلال قصص الف ليلة وليلة) : مصعب عبد اللطيف الأنصاري ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2001 .

-الزمان . المكان المتخيل بين النص الشكسبيري والمعالجات الشكسبيرية الحديثة : مروة مهدي مصطفى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2007 .

-شخصيات قصة يوسف . عليه السلام . في القرآن الكريم ،دراسة تحليلية : نبهان حسون عبد الله أحمد السعدون ، أطروحة دكتوراه ،كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 2005.

-الشكل القصصي في القرآن الكريم ، دراسة جمالية : نبهان حسون عبدالله أحمد السعدون ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 1999.

-فن القصة : محمد يوسف نجم ، ط2 ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1956.

-القصة في سورة الكهف ، دراسة تحليلية : م .م . سهير كاظم حسن ، مجلة آداب البصرة ، عدد 57 ، 2011.

القصة القصيرة : د. سامية أحمد ، مجلة فصول ، مج2 ، عدد 4 ، 1982 .
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل ، ج 2 : أبي القاسم جار الله محمود عمرالزمخشري الخوارزمي ، د. ط ،انتشارات آفتاب ، تهران ، د. ت .
مجمع البيان في تفسير القرآن ، مج6.5 : للشيخ أبي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1986 .
المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم انكليزي . عربي : د. محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر ،لونجمان ، 2001.
المرشد الى فهم أشعارالعرب وصناعتها ،ج 2 : د. عبدالله الطيب المجذوب ، نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1955 .
المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة ، كامل المهندس ، ط2 ، لبنان ، 1984 .
مفردات ألفاظ القرآن ، العلامة الراغب الاصبهاني ، ت. صفوان عدنان داوودي ، طليعة النور ، عراق ، النجف الاشرف ، 2000.
الميزان في تفسير القرآن ، ج13 : السيد محمد حسين الطباطبائي ، د. ط ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، 1379.
نظرية البنائية في النقد الأدبي : د. صلاح فضل ، ط3 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1987 .
نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، ت. ابراهيم الخطيب ، د. ط، مؤسسة الأبحاث العربية والشركة المغربية للناشرين المتحدين ، بيروت ، لبنان ، 1998.

Fiction Structure in the Story of the Companions of the Cave: Approaching from the Perspective of Narration

Asst. Prof. Najwa Mohammad Juma' (Phd)
University of Basrah/ College of Education for Human Sciences/
Department of Arabic Language

Abstract

The Qura'nic story is characterized by the beauty of selecting the story event; beauty of formulation and strength of effect on the addressee. The Holy Qura'n has openly stated that "We relate unto you the best of stories". Depending on this, researchers have shown interest in studying these stories to shed lights on their aesthetic structure. This research studies the story as a narrative discourse that involves the bases of the art of narration. The study includes four narration components, they are: the event, the character, time and place. The first component deals with the patterns

of event structure. The second component, however, deals with the patterns of building the fictional characters and the ways through which they are introduced. Component three treats the structure of narration time which falls into three levels: level one is devoted for time irony, level two sheds light on technicalities of speeding and slowing time, level three studies time sequencing. The fourth component studies narration place as it is related to the event and the character.